الهجرة النبوية 2 .. تهيئة المدينة

لازال حديثنا في رحاب السيرة النبوية مع تفاصيل الهجرة والتهيئة لها ، تحدثنا في الجمعة الماضية عن الزيارات الدعوية بحثا عن النصرة والحماية وحديث اليوم عن تهيئة المدينة المنورة

تلك التهيئة التي ابتدأت بعد بيعة العقبة الأولى بطلب الأنصار من رسول الله أن يبعث معهم رجلا يعلم أبناء المدينة الإسلام ، فبعث رسول الله معهم الصحابي الجليل مصعب بن عمير ،

واختار رسول الله مصعب بن عمير ، لسببين :

1 . أن مصعب كان يحفظ كل ما نزل من القرآن و كان يمتاز بقوَّة إيمانه وشدَّة حماسته

2 . أن شخصيَّته كانت متوائمة مع طبائع أهل المدينة ، فهو شاب امتاز منهجه الدعوي باللباقة ، والهدوء، والحكمة ، و الخُلق الآسر للقلوب

نزل مصعب في حديقة أسعد بن زرارة ، وتمكَّن أن يحقق نجاحا دعويا ، **تمثل في ثلاث :**

الأولى : دخول الإسلام إلى معظم بيوت المدينة

الثاني : تقوية رَّوابط الأخوة بين قبائل المدينة

الثالث : إدخال كبار زعماء المدينة في الإسلام

وعلى رأسهم سعد بن معاذ ، وأُسيد بن حُضير

علما أنه لم يبقى من قادة يثرب إلا اثنين سعد بن معاذ وعبدالله بن سلول والبقية قتلوا في حرب بعاث ، **حتى قالت أمنا عائشة** كما عند البخاري

(كان يومُ بُعاثَ أمراً اقدَّمه الله تعالى لنبِّيه ، فقدِمَ وقد افترق مَلَؤهم، وقُتِلت سَرواتهم)

أيها الأحبة : وصل خبر مصعب وتأثيره في أبناء المدينة

إلى سعد بن معاذ ولأن أسعد بن زرارة ابن خالته أمر أسيد بن حضير بالذهاب إليه لإيقاف حركته **فأخذ أُسيد حربته**، فلما اقبل قال : أسعد لمصعب هذا سيِّد قومه قد جاءك ؛ فاصدق الله فيه، **فدخل عليهما مُتشتِّماً (تهديد باللسان)**

ثم قال لهما :اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجةٌ **(تهديد بالقتل)**

لندرك أن الباطل سلوكه مع الحق واحد يبدأ بالتهديد باللسان فإن لم يجد توقفا من أهل الحق مارس هويته الكبرى وهي القتل والتصفية

فقال له مصعب بلسان المؤمن الهادئ : أو تجلسُ، فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإنْ كرهته نكفُّ عنك ما تكره؟

قال: أنصفتَ ، فتلا عليه مصعب آيات من القرآن

قال أسعد : والله لقد عرفنا في وجهه إشراقة الإسلام قبل أن يتكلَّم ، **فقال** : كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدِّين ؟

لنتعلم هنا :

أولا : ان من القلوب مالا يمكن دعوتها إلا باللين عبر اشعاره بأن القرار بيده والحكم لعقله وحكمته

ثانيا : بقدر صدق الداعية وإخلاصه يفتح الله له قلوب أهل الكفر من اللحظة الأولى

أسيد بن حضير : هذا القائد الذي مر على اسلامه دقائق انتقل من مرحلة صَلاح نفسه إلى إصلاح غيره ، **فقال :** إنَّ ورائي رجلا اسمه سعد بن معاذ إن اتَّبعكما لم يتخلفْ عنه أحدٌ ، **سأرسله إليكم**

ولنا أن نتخيل .. أي سجل سيقدم به أسيد بن حضير على الله يوم القيامة وفي سجله كل أعمال ومواقف الرجل الذي اهتز لموته عرش الرحمن

ونزلت ملائكة السماء لتشيع جسده

عاد أسيد، فنظر إليه سعد بن معاذ **وقال** :أحلف بالله !لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، ثم سأله ما فعلت ،

أسيد بن حضير منشغل بالطريقة التي سيرسل بها سعد بن معاذ ، فإذا به يقول له : لقد حُدِّثت أنَّ بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة؛ ليقتلوه ؛ ليُخفِروكَ بن خالتك ، فقام مغضبًا والحربة بيده

ولما وصل ، علم أنَّ أسيدًا أراده أن يسمع منهما،

ولم يقم من بين يديهما إلا مسلما

ولكن انظر الفارق : دعوة أسيد استهدفت شخص واحد ، ودعوة سعد بن معاذ استهدفت القوم بأسرهم ، **قال** : يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيِّدنا، وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة ، **قال : فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام؛ حتَّى تؤمنوا بالله، ورسوله !**

يقول أهل السير : فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ، ولا امرأة إلا مسلما، أو مسلمة

مصعب بن عمير .. الداعية الأول .. يعلمنا

ألا تستهين بدعوة انسان **ولا** نصيحة مقصر **ولا** قول كلمة حق ، **ولا** تستهين حتى بالجهد الذي تبذله لإصلاح أبنائك

وهنا أوجه رسالة للآباء :

الذين أخرجوا أبنائهم من حلقات التحفيظ للمذاكرة أو لدراسات اللغات أو لمساعدته في التجارة ، **ولست منتقدا على العمل** وإنما على اعتبار القرآن وحفظه عائقا أمام دراستهم وتجارتهم ،

فمعظم طلاب الحلقات من الأوائل في دراستهم والناجحين في أعمالهم ، فراجعوا قراراتكم (وكفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول)

ثم أيها الأحبة :

هذا النجاح الدعوي لسفير الإسلام والذي امتاز بالإخلاص والتنظيم والعمل الدؤوب حتى **هيئ يثرب لانتقال الدعوة إليها وإقامة الدولة فيها**

يضعنا أمام تساؤل ملح :

أين سفراء المسلمين اليوم ، وكيف يمثلون دولهم وهل لهم في عرض الإسلام خاصة في دول الغرب دور بارز ، وهل هم قدوات تحبب المجتمعات بالإسلام من خلال السمت والخلق والسلوك ، أم أنهم مقطوعي الصلة بالسفير الأول مصعب

إخوة الإيمان : جهد تسعة من الشباب تكلل بيعة العقبة الثانية التي سماها عبادة بن الصامت ببيعة الحرب

يقول جابر بن عبدالله : (فقلنا : حَتَّى متى نترك رسول الله يُطرَد في جِبال مكَّة، ويُخاف، فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتَّى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين ، حَتَّى توافينا عليه ثلاثُة وسبعون رجلًا، وامرأتان)

وروى كعب بن مالك الأنصاريّ قال : خرجنا في حجَّاج قومنا من المشركين ، وواعدنا رسول الله بالعقبة ، من أوسط أيام التَّشريق ، فنِمَنا تلك اللَّيلة مع قومنا في رحالنا، حَتَّى إذا مضى ثلثُ اللَّيل خرجنا من رحالنا ، نتسَّلل تسلُّلَ القطا (الحمام)

ومعنا : نُسَيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو

فجاءنا رسول الله

ومعه **العبَّاس بن عبد المطلب**، فقال لنا :(**أنَّ محمدا في منعةٍ من قومه بني هاشم ولكنَّه يريد الهجرة إلى المدينة**) ليؤكد لهم الحماية وعدم الخذلان

فقلنا : يا رسول الله ! علامُ نبايعك ؟

فقال : **وتأملوا الوضوح والدقة** (تبايعوني على السَّمع، والطَّاعة في النَّشاط والكسل ، والنَّفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم ممَّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم)

قال : ولكم الجنَّة ، قالوا :فقمنا إليه، فبايعناه)

أثناء البيعة حدثت حوارات وتساؤلات

بين النبي والأنصار أشهرها أربعة :

الأول : اعتراض أسعد بن زرارة أصغر المبايعين

حيث أخذ بيد النبي ، وقال : **رويدا يا أهل يثرب** ، فإنَّا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم :أنَّه رسول الله ، وأنَّ إخراجه اليوم مفارقة العرب كافَّةً ، وقتلُ خياركم وأن تعضَّكم السُّيوف ،

ثم وضعهم أمام خيارين :

- إما تصبروا على ذلك، وأجركم على الله
- وإما أنتم تخافون من أنفسكم جُبْنَة؛ فبينوا ذلك، فهو أعذر لكم عند الله !

فقالوا : أمِط عنَّا يا أسعد ! ف و الله لا ندع هذه البيعة أبدا ! ولا نَسلِيها (أي: نتركها !)

يقول جابر بن عبدالله : فقمنا إليه، فبايعناه، فأخذ علينا، وشَرَط، ويعطينا على ذلك الجنَّة)

الثاني : تعهد البراء بن معرور

حين قال رسول الله :(أبايعكم على أن تمنعوني ممَّا تمنعون منه نساءكم، وأبناءكم) (أوزركم)

أخذ البراء بن مَعرورٍ بيده، وقال : والذي بعثك بالحق !لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرنا، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة (السِّلاح)، ورثناها كابراً عن كابر

الثالث : تساؤل أبو الهيثم بن التيهان :

قال يا رسول الله ! إنَّ بيننا وبين القوم (اليهود)

حبالاً، وإنَّا قاطعوها فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك، ثَّم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتَدَعنا؟ **فتبسَّم رسولُ الله** ثمَّ قال : (بل الدَّم الدَّمُ، والهدمُ الهدمُ، أنا منكم، وأنتم مِّني، أحارب مَنْ حاربتم، وأسالم مَنْ سالمتم)

الرابع : وفاء من اللحظة الأولى

قام العبَّاس بنُ عبادة بن نَضلة إلى رسول الله بعد البيعة مباشرة **وقال** : والذي بعثك بالحق إن شئت؛ لنميلنَّ على أهل مِنًى غدا بأسيافنا ، **فقال رسول الله** : (لم نُؤمَر بذلك؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم)

ومن هذه المواقف نتعلم :

أولا : سرعة الاستجابة لرسول الله والتصديق لقوله لأن المحاورين ما كانوا يبحثون عن أعذار لتخلي وإنما المزيد من التثبت

ثانيا : الحرية الكاملة التي لا خوف فيها ولا مجامله ، قال لرسول الله (ثمَّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتَدَعَنا؟)

فجائه الجواب العظيم، بأن جعل نفسه جزءاً من الأنصار، والأنصار جزءاً منه

ثالثا : أن الدفاع عن الإسلام، والتَّعامل مع أعداء هذا الدين، ليس متروكاً لاجتهاد الاتباع ؛ وإنَّما هو خضوعٌ لأوامر الله تعالى، وتشريعاته الحكيمة مع أن البيعة بيعة حرب إلا أن الحرب لم يأتي الإذن الإلهي بها ، ولذلك لم يسمح ولم يرضى رسول الله بحمل السيف حينها

القرار الأول بعد البيعة :

كان أول قرار لرسول الله بعد البيعة أنه قال لهم **(أخرِجُوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً؛ ليكونوا على قومهم بما فيهم)**

والنقباء هم من سيقودون المسلمين في المدينة ، **وهذا كان اعلان** لانتهاء مهمة مصعب بن عمير ، وتسليم راية الدعوة لشباب الأنصار، فقد أصبحوا هم أهل الإسلام وحماته وأنصاره

فأخرَجوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس

وسيلحظ المتأمل هنا :

أولا : أنّ الرَّسول الله لم يعيِّن النُّقباء بنفسه؛ إنَّما ترك الاختيار لهم ليتحملوا تبعات الاختيار،

ويتعلموا ممارسة الشورى عمليا

ثانيا : أن الأنصار طبقوا قاعدة التَّمثيل النِّسبي في الاختيار فمثل الخزرج تسعة والأوس ثلاثة لأن ثلثي المبايعين من الخزرج

تمت البيعة بسرية كاملة وخضعت لتخطيط دقيق حيث كانت في أخر الليل ، **وفي** اليوم الأخير من أيام التشريق **ووقتها** كلف رسول الله أبوبكر الصديق وعلي بن أبي طالب بمراقبة مداخل الشعب والطرق المؤدية إليه

فسمعت قريشا صوتا يخبرهم ببيعة أهل يثرب لمحمد في العقبة وكان ذلك صوت الشيطان **فلما أصبح الصباح** ذهب جمع من كبار قريش إلى حجاج المدينة ، يسألونهم ، فحلف مشركوا يثرب ، بأنَّهم لم يفعلوا، والمسلمون صامتون لم ينطقوا بكلمة

ختاما أيها الأحبة :

كانت هذه البيعة بمثابة الحلقة الأولى في سلسلة الفتوحات الإسلاميَّة، لأنها كانت مع شباب قوي الإيمان قوي الحماسة لنصرة الإسلام وتجلت بطولاتهم في ميادين الحرب والدعوة

فهؤلاء الثلاثة والسَّبعين،

النِّصف منهم حضروا كل المعارك مع رسول الله ، **وثلاثة وثلاثون** كانوا بجوار رَّسول لله في جميع غزواته، **وسبعون** منهم حضر غزوة بدر،

وبمثل هذه النماذج الَّتي تعطي، ولا تأخذ، والَّتي تقدم ولا تطلب ، والتي لا هدف لها إلا الجنَّة، قامت دولة الإسلام